

منہاج

سن عرفہ خانہ

فضیلۃ الشیخ

حسانی حلوی



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وحده

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيه المصطفى وآله المستجملين التشرّف ...

ثم أما بعد،،

فأسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً ينفعنا

{ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّجْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا } [المحمد: 10]

هذه هي المحاضرة السابعة في هذه السلسلة المباركة "سلسلة تعرف" ..

وسننارس فيها بحول الله تعالى وقوته هذه العلامة ..

التي هي العلامة الخامسة من علامات معرفة الله تبارك وتعالى:

وهي: علامة الخوف..

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي:

"من كان بالله أعرف، كان له أخوف"

وأهم ما في درس اليوم أن هناك مفاهيم كثيرة جداً، سنكتشف أن تصوراتنا فيها خاطئة .. فقضية الخوف أصلاً .. كلام العلماء فيها: أن ما نطلق عليه خوف وللأسف الشديد في الغالب لا يورث النتائج المطلوبة .. هو أدنى المراتب في هذا الباب .. ولأنه في الغالب نحن لا نحصل البذور التي تبذر الخوف الحقيقي؛ لذا لا تكون الثمرة يانعة في الغالب ولا تكون الثمرة على الوجه المطلوب ..

لو درسنا مسألة الخوف بشكل عام، أول شيء نتعرف عليه هو:

صقيقة الخوف..

ما معنى الخوف؟

نحن نندارس هذا الكلام من كلام ابن الجوزي في (منهاج القاصدين) و نرى المعنى؛ لكي نؤصل هذه القضية ..

أولاً: ماذا يعني الخوف؟

➤ الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال.

ما معنى ذلك؟ مثال:

أنا أخاف أن أنظر نظرة حرام فيسلبني الله تعالى الرزق، أو أن يُعجل ليَّ الله تعالى العقوبة في أهلي .. أن أكون خائفاً أن ينطبق عليَّ قوله تعالى {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ..} [النساء: 123] .. فأكون خائفاً أن يحدث هذا لي في المستقبل، وهو أن أعاقب في محارمي .. **فخوف توقع المكروه ...**

مثال: أنا خائف من أن أصاب بمرض مثل فلان؛ لأنه كان يقع في واحد اثنين ثلاث من الذنوب وأنا أيضاً أقع فيها .. واحد يدخل أو يفعل أي شيء من الأمور التي قد تفسد عليه صحته، فهو خائف من توقع هذا المكروه .. فيبدأ الخوف يُقلق عنده الأمور، فيُسمى (**خوف مَقْلَق**) .. مزعج .. لا يستطيع النوم .. يقال له: مما تخاف؟، يقول: من همَّ الغد.

☞ الخوف: تألم القلب واحترقه بسبب توقع مكروه في المستقبل.

لماذا طلبت منكم الانتباه لهذا الأمر؟! .. لأن هذه الأمور سنقوم بتفصيلها، الموضوع كله في نقطة المكروه وتوقعه ..

ماذا أفعل حتى أخاف الله عزَّ وجلَّ ويكون خشية حقيقية؟؟

ما الأشياء التي يجب أن أخاف منه حدوثها ويكون علمي علمي بها؟!

هذه كانت حقيقة الخوف ..

بعد ذلك، اعلم أن الخوف ينتظم من ثلاثة أشياء .. أي لكي نحقق الخوف نحتاج لثلاثة أشياء:

ثلاثة أمور تُحقق الخوف::

(1 علم .. 2 حال .. 3 عمل ..

فمن لديه واحدة فقط دون البقية، فلديه خلل في قضية الخوف ..

أولاً: العلم .. ما هو العلم المطلوب معرفته حتى أخاف الله حق الخوف؟ .. قالوا أول شيء::

(1 معرفته بالله وبصفاته وأسمائه ..

معرفة توجب ذلك، إذن نحن نتكلم عن أي صفات؟ ☞ **صفات الجلال ..**

الذي سيتعلم هذا المعنى على الوجه المطلوب، هذا هو الذي ستكون ثمرة علمه:: الخوف الحقيقي من الله عزَّ وجلَّ ..

تعالوا نطبق تطبيقاً مباشراً من خلال الأسماء والصفات، يعنى بذكر بعض الأسماء التي تدل على الجلال .. يعني لو أنك شاهدت الله ملكاً ..

الله الملك..

وشهدت معنى قوله تبارك و تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَرِغُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 26]

قال العلماء "سر هذا الاسم أنه ليس لأمره مرد ولا لحكمه رد، فيجب على المسلم الذي يؤمن أن الله ملكاً أن يعتمد عليه ولا يعتمد على غيره، فهو يعطي الملك من يشاء ويقدرته يسلبه ويزعه عن يشاء" ..

فلو أردت أن تُعز ولا تُذل، وتكون لك في الدنيا الحياة الطيبة، فينبغي إذاً أن تلوذ بالملك وتخشى من جزاء الملك ..
مَنْ يَشْهَدُ رَبَّهُ مُهِيمًا ..

اسمه المهيمن ..

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ} [الحشر: 23]

يقولون "المهيمن من كان على الأسرار قريباً ومن الأرواح قريباً"

أي إن الله سبحانه وتعالى قريب منك، مطلع على خفاياك وأسرارك .. وهو سبحانه وتعالى علمه وتدبيره مُحيط بك من جميع الجوانب ..

فإذا كنت تعرف أن الله مهيمن وله هذه السيطرة التامة عليك والتدبير التام هذا يدعوك إلى مراقبة الله سرّاً وجهراً، ويرشدك إلى أن الله معك أينما كنت .. فلا تفعل إلا ما يرضيه وتحذر الوقوع فيما يغضبه.

من يعرف أن الله عزيز وأنه لا يعز عنده أحد لا يتدلل ويعلم أنه غالب وليس بمغلوب ..

العزیز .. الذي لا مثل له ولا نظير له، وهو سبحانه غالبٌ وليس بمغلوب .. فتخاف من عزته ..

{إِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: 209]

إذا اخطأت، سيُريك ما معنى العزيز .. عندما لا تتذلل له على القدر المطلوب، سيريك أن مقامك مقام الذل وأن مقامه مقام العز .. فهذا الكلام عندما تفهمه جيداً يجعلك تخاف ...

عندما تشهد الله ..

جباراً .. على معنى الجلال ..

وليس على معنى الجمال، الذي هو جبر المنكسرين .. إنما على معنى الجلال، فتخشى أن يعاملك الله بجبروته ..

عندما تشهد الله ..

متكبراً ..

لا ترفع رأساً على أحد ولا تتعالى في الأرض، وتكون مع الله على معنى التواضع والاستسلام والانقياد ..

عندما تشهد الله ...

قهار قاهر ..

يذل الجبابرة والأكاسرة ويذل من يشاء سبحانه وتعالى .. يجعلك هذا المعنى تقهر أنت نفسك له ..

لقد ذكرت بعض الأسماء كمثال تطبيقي فقط، لكن بالطبع أسماء الجلال أكثر من ذلك ..

عندما تشهد معاني مثل معنى ::

{ .. مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ .. } [النساء: 123] .. { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة: 8]

خطأ قد تحسبه هيئاً، وفي ميزان الناس يُستهان به ويُقال لك: إنها مجرد كلمة وممرت، وربك غفور رحيم ..

فحينما تشهد: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً، يهوي بها سبعين خريفاً في النار" [رواه الترمذي وصححه الألباني، صحيح

الجامع (1618)]

إذا، المسألة ليست كما تتصور .. { .. وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } [النور: 15]

"إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات". يعني: المهلكات . [صحيح البخاري]

"إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه .." [رواه أحمد والطبراني وحسنه الألباني، صحيح الجامع (2687)]

تضاف

آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كانت زلة .. مجرد خطأ واحد، ذنب واحد طُرِدَ من أجله من الجنة .. طُرِدَ بسبب الذنب، فلماذا لا تكون كذلك؟؟

معرفتكَ هذه بالله تجلب الخوف، فلا تعرف أن تدل ولا يكون عندك هذا الأمان التام ..

بل الخوف هو الذي سيبعثك على الأمان، كما سدرى ...

إذا ..

(1) علمه بأسماء الله تعالى وصفاته ومعرفته به سبحانه.

(2) معرفته بكثرة جناياه ومعاصيه ..

فعندما تكون على علم بذنوبك وعيوبك جيداً، وحريصاً أن تكون منتبهاً لهذه المعاني، هذا سيبعثك على الخوف ويسوقك إلى الله عز وجل لو نظرت إليها بنظر الاعتبار والتفكير الصحيح .. لهذه الذنوب كلها..

ذهبتُ إلى طبيب الأسنان وكان هناك اصطدام منذ أربع سنوات ومر ذلك الأمر، ثم تبين أن العصب مات .. الطبيب قال لي عبارة أدارت رأسي، قال: لما يحدث لك تصادم وتخرج منه سليماً، فاعلم أن هناك مشكلة كبيرة .. فالغالب أن يكون لديه نزيف داخلي .. أما إذا أصيب له ضلع أو أي عضو، فالأمر على ما يرام ..

👉 إذا، عندما تعمل الذنب وتكون بعده سليماً، فخف أن يكون استدراجاً!!

أما إذا فعلته وبعدها مشاكل في بيتك أو غيره، فقد أخذت جزاءك .. فكل هذه الذنوب التي وقعت فيها، أحسب إنها ستمر بسلام؟؟ .. ولم تُجدد توبتك بعدها، ولم تندم أو تستغفر أو تبكي من خشية الله !! .. فعندما تجد فجأة عاقبة ذنبك، تندهش وتقول ماذا حدث ؟ لقد كان حالي جيداً وكنت أمس قائماً وقبله بأسبوع في جنازة وحضرت الدرس أول أمس، ما المشكلة؟؟!

ماذا عه ما مضى؟ .. { .. أَحْصَاءُ اللَّهِ وَنَسُوهُ .. } [المجادلة: 6]

فثاني الأمور التي تبعثك على الخوف :: ألا تعاقب على الذنب أو لا توفق للتوبة.

إذا لم يحدث ذلك أو ذاك، فخف منه عقوبة لا تعد لها ولا تحسب لها حساباتها !!

(3) معرفته بأنه لا يُسأل عما يفعل ..

التي هي شهود معنى من معاني قهر الله تبارك وتعالى، طالما أنت عبد وهو لا يُسأل عما يفعل .. وأنت تعلم أنه سبحانه حرم الظلم على نفسه .. ولكن هو سبحانه لا يُسأل عما يفعل، فلو شاء أن يفعل بك شيئاً سيكون .. فتخاف أنه يُعجل لك بعقوبة أو يبتليك بابتلاء، وأنت تتصور أنه من الصعب جداً عليك أن تعيش مع هذا الابتلاء .. يفقد كذا .. يفقد كذا .. يفقد كذا ..

{وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} [إبراهيم: 20]

هذا هو الخوف، ومداره على :: معرفته بالله، ومعرفته بنفسه.

معرفته بالله .. أنه سبحانه وتعالى هذه أفعاله وصفاته، وأنه لا يُسأل عما يفعل، وهذه أفعاله.

معرفته بنفسه .. بجناياه ومعاصيه وعيوبه، ومعرفته بجلال الله واستغناؤه عن الخلق يبعث على الخوف.

الأمر الأول كان العلم ..

ثانياً: الحال ..

لو لم تجد من نفسك هذه الأحوال، فخاف::

(1) قلبك لا يهتز ..

(2) جسدك لا تظهر عليه هذه الآثار .. فمن خاف الله نَحَلَ جسده أو أصْفَرَ أو ظهرت عليه علامات من أصابه الهمُّ، الذي يحمل من همِّ الدنيا وأعرض عن كثرة الضحك والتهريج، فلا يقضي وقته كله هكذا .. (ولا يُفهم من ذلك الإعراض عن الضحك) .. فالرسول **صلى الله عليه وسلم** كان جُلَّ ضحكته التَّبَسُّم ..

إِذَا، لَابِدْ أَن يَكُونَ هُنَاكَ تَوَازُنٌ، وَلَكِنَّهُ لَا يَقْضِي كُلَّ وَقْتِكَ فِي التَّهْرِيجِ !!

لأنه لو صار كله تهريج، فإن ذلك علامة على إن الخوف ليس في قلبك .. وكان الصحابة والسلف يضاحكون بعضهم البعض، ولكن إذا خَلَا بالله ظهر خوفه في البكاء طيلة الليل من خشية الله .. خطين أسودين في وجوه الصحابة، في وجه عمر خطين أسودين من كثرة البكاء .. فأين ذلك؟

فإن لم تَرِ هذه الأحوال .. لا بكاء منه خشية الله، ولا إحساس في القلب ..

فمعنى ذلك أنه الخوف ليس بالقدر الكافي في قلبك!!

ثالثاً: العمل ..

فمن خاف من الله يترتب على خوفه أمور:

(1) الكف عن المعاصي .. فلو قيل لك: أن نوعاً من الطعام به مواد مسرطنة، لظلمت تُفكر وتخشى أن تُخاطر بحياتك .. فتركه ..

فلو علمت أن النظرة سهم مسموم يَسُمُّ قلبك، وأن هذه الخلطة التي تراها شيئاً عادياً .. وتقول: ما المشكلة أن أتحدث مع زميلتي في العمل، طالما أنني إنسان محترم ؟! .. ومن الممكن أن تحدث خلوة ولا يوجد ضوابط .. والأمر بالنسبة لك عادي، طالما لا يترتب عليها مشكلة .. وأنت الذي تحكم بهذا!!! .. فإذا كان هذا الكلام ليس واضحاً، فسوف يترتب عليه أن هذا القلب ليس خائفاً فيتجرأ .. إنما الخائف تجده يكف .. ويقول: طالما الأمر فيه شبهة فلنتركه ..

فيلف عنه المعاصي ويتقي الشبهات،،

(2) قمع الشهوة .. يقال لك: إن هذا العسل أفضل أنواع العسل في العالم، لكن هناك احتمال أن يكون فيه نقطة سُم .. هل ستشرب منه؟! .. وقد اشتراه لك رجل بآلاف الدولارات، فهدية لا تُحلم بها .. لكن هناك احتمال أن به سُم، هل ستشرب منه؟؟ ..

كذلك الشهوة، **مثلاً:** ستتزوج أفضل امرأة في مصر لكن من الممكن أن تكون سبباً في ضياع دينك .. بعدها قد يتم رؤيتك في أماكن، لم يكن يُظن أن ترتادها ..

مثلاً: صفقة ستعود عليك بأرباح لم تكن تحلم بها، لكن يوجد احتمال أن تتعامل بالربا ومشاكل أخرى ... و "درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية" [رواه أحمد وصححه الألباني، صحيح الجامع (3375)] .. فتقمع الشهوة ..

فالخائف من الله لا ينظر لجمال الشهوة ولذتها، وإنما ينظر إلى حقيقتها وإلى النتائج التي يملكه أن تترك عليها ..
يرى فيها السم،،

(3) الإقبال على التخلص من الآفات (خاصة النفسية) .. فذرة كبر من الممكن أن تحرمك الجنة .. وكذلك العُجب،

تفرح بعض الشيء بأعمالك أو أحوالك فتهلك .. " ثلاث مهلكات .. " .. لماذا تُهلكك وتميط بك إلى الأرض!!

بعض الرياء، شرك خفي .. فيصير مشكلة كبرى ————— ويهلكك الله سبحانه وتعالى إلى من أشركت به .. " .. تركته وشركه .. لماذا؟

قُبِرَ في عمله الإستمرارية والحرص الشديد على التخلص من الآفات النفسية،،

(4) دوام المراقبة والمحاسبة والمجاهدة .. كمن لديه صديق مُقَرَّب وفي مثل عمرك ثم يموت فجأةً، وتدفنه في قبره ..

ستظل لمدة أسبوع بعدها لا تستطيع النوم، لو كان قلبك حياً .. وستسائل: هل من الممكن أن يحدث لي ذلك؟؟ .. لقد كان بصحة جيدة ولم يكن لديه مشاكل، وفجأة حدث له ذلك .. ولما لا يحدث لي؟! .. فستبدأ تُفكر بأن تصلي ركعتين في الليل ومنذ فترة لم تصلها، عسى أن يُختم لك بها .. لعلها فرصة قد منحها الله عزَّ وجلَّ لك ..

فتجد نفسك بدأت تُراقب وبدأت تُحيي أعمال؛ لأنك خائف .. لذلك قالوا::

الضوف أعظم سائق إلى الله،،

فينشغل بالمراقبة والمحاسبة والمجاهدة، ويترب على ذلك حرصه الشديد على وقته فيكون بخيل بزماته،

فهناك أمران أساسان في العلم:

(1) معرفته بالله .. (2) ومعرفته بعبوبه وجناته وو ..

وفي الحال:

أن يرى أثره في قلبه:: تزول عنه القسوة ويرى ذلك في جوارحه، من بكاء وهذا الحزن ..

فيخاف ويحزن على نفسه، وهذا ليس على الدوام؛ لأن الأحوال لا تستمر .. لكن هذا الحزن موجود ..

في العمل، هناك خمسة أمور ظاهرة:

(1) يكف عن المعاصي .. (2) يجمع الشهوة .. (3) يتخلص من آفاته .. (4) ينشغل بالمراقبة والمحاسبة .. (5) يخل بزمانه ..

هذه الثلاثة أمور الخاصة بالخوف:: العلم والحال والعمل .. وتفصيلهم.

مراتب الخوف ومظاهره ..

قالوا: أن الخوف مراتب .. وهنا سنظهر على حقيقتنا، وهذا ما كنت أريد تبينه لكم .. أولاً: مظاهر الخوف ..

(1) **الخوف** .. فلو منعك الخوف فقط من ارتكاب المعصية، فقد حققت مرتبة الخوف.

(2) **الورع** .. ولو صار الخوف يكفك عن الشبهة، لحققت مرتبة الورع.

(3) **الصدق** .. ولو جرّدك الخوف لخدمة الله والابتعاد عن فضول الدنيا، فهذه هي مرتبة الصدق.

وهنا المشكلة .. أن الإنسان منا أحياناً قد يتوهم أنه قد بلغ هذا المقام، أي صار صادقاً ..

الصدق الحقيقي: بعدما تمر على مرحلة الخوف، ثم تعلق للورع، تصل إلى الصدق،

لو كنت صادقاً .. أي: صادق بمعنى الكلمة .. فمن الممكن أن تصدق الله عز وجل في عمل أو في نية .. ولكن لكي تصير عنده من الصادقين، لابد أن تمر على هذا السلم ...

الخوف هو الذي يوصلك، فيكفك عن المعاصي .. ويعلو الورع، فيكفك عن المشتبهات .. وبعد ذلك يعلو، فتصل إلى مرتبة التجرد في الخدمة ..

أي: تصير مُنْقَطِعَ له، مُتَبَتِّلَ له، وغير مُنْشَغِلٍ إلا به ..

فأنت غير مُنْشَغِلٍ بما ترتدي أو تركب أو كيفية زيادة أموالك .. ليس هذا هو شُغْلُكَ الشاغل .. هذا هو الصدق،،

هذه هي مراتب الخوف:

(1) خوف .. (2) ورع .. (3) صدق ..

درجات الخوف

الخوف ثلاث درجات .. وهي في التقسيمة الثلاثية المعروفة:

(1) اعتدال .. (2) غلو .. (3) تفريط ..

وهنا المسألة في غاية الأهمية؛ لأن العلماء نظروا هذا الكلام .. وهذا الكلام ذكره ابن الجوزي في (منهاج القاصدين) ..

قال: إن هناك من يخاف خوف مُبالغ فيه، فيُصيبه بالإحباط واليأس والقنوط .. فيقطعه عن الطريق ..

وهناك من أحواله كأحوالنا .. يظن أن هذا هو الخوف .. وابن الجوزي يقول: أن هذا أقل درجات الخوف، وأنه عادة نتيجة لرقعة في القلب ..

فمثلاً: قد يسمع آية وهو رقيق القلب، والآية كانت مؤثرة .. كقوله تعالى { أَزِفَتِ اللَّازِقَةُ } (*) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ {

[النجم: 57,58] .. فلو كان رقيق القلب، سيكي .. فيظن أن هذا دليل على خوفه .. والأمر ليس كذلك ..

☞ فهذا هو المُفَرِّطُ،

قال: "أما القاصر .. فهو الذي يجري مجرى الرقة من النساء، يخطر بالبال عند سماع آية أو سبب هائل يُثير البكاء .. فإذا غاب ذلك السبب عن الحس والقلب، رجع القلب إلى الغفلة"

أليس هذا ما يحدث لنا؟؟؟!

إذا سمعنا درس وكان يتحدث عن أحوال الخائفين ومثل هذه المعاني، فيهتز القلب ويبكي وينفعل ويشعر أنه بدأ يُبلِّغ هذه المتزلة .. وبعد أن ينتهي السبب، يزول الخوف.

لذا يقول ابن الجوزي "فهذا خوفٌ قاصر، قليل الجدوى، ضعيف النفع وهو كالقضب الضعيف.."

مثل عود الآراك - السواك - إذا طرقة أحدًا على يده، سيترك ألم خفيف ومن الممكن ألا يشعر به .. فهذا ما يحدث ..

"كالقضب الضعيف الذي تُضرب به دابة قوية، فلا يؤلمها ألما مبرحًا، فلا يسوقها إلى المقصد ولا يصلح لرياضتها .. وهذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء، ولست أعني بالعلماء المترسمين برسوم العلم .."

أي: من شكله يدل على أنه فقيه أو الأستاذ الدكتور أو ما شابه .. لا لا ..

".. فإنهم أبعد الناس عن الخوف، وإنما أعني العلماء، العلماء بالله وآياته وذلك مما عزَّ وجوده .."

فهذا هو المفرط .. الذي يفهم أن الخوف مجرد طرقتين، أن يسمع درس كل حين وأنتهى الأمر .. ويترك أثر للشحنة لمدة يوم أو يومين، وأنتهى الأمر .. في رمضان يتأثر لمدة يومين أو ثلاثة، ثم ينتهي الأمر .. العمرة ثلاثة أو أربع أو خمس أيام أو أسبوع، وينتهي الأمر ..

فهذا خوف القاصرين،

وهناك خوف الغلاة .. الذي من شدة خوفه، قد يموت .. وهذا ليس من علامات الصحة، نحن نحتاج إلى خوف يقود .. وهذا هو حد الاعتدال.

فالاعتدال في الخوف .. خوف يكون فائدته الحذر والورع .. التقوى .. الجاهدة .. الفكر .. الذكر .. التعب .. هذه الأمور .. يسوق إلى الله عزَّ وجلَّ ..

هذا هو الخوف الذي منه حصَّله، يكون هذا منه ثمرة معرفته بالله تبارك وتعالى،

أخذنا: حقيقة الخوف، وأن الخوف: علم وحال وعمل، وأخذنا أن الخوف له مراتب ودرجات.

طبقات الناس في الخوف

ذكرنا أنه يجب أن يكون هناك شيئاً مكروهاً يخاف منه .. وهنا العلماء قالوا أشياء كثيرة، لكنهم قد قسموها ..

في المنهاج، قال: أن الناس طبقتين ..

الطبقة الأولى: تخاف من أمور لا لذاتها إنما لغيرها .. فهو لا يخاف من الذنب، إنما يخاف من عقوبته .. فهو يتجراً على الذنب، لكن بعد قليل يقول: هل من الممكن أن أعاقب؟! .. هل من الممكن أن أخسر تجارتي؟! .. يعني من الممكن أن العبد يُحرَم الرزق بذنوب يصيبه؟! .. فيخاف لأثره، لكنه لا يخاف من أصل الأمر بل قد يحبه ..

فخوفه مُتعلّق بالغير .. فيخاف الموت قبل التوبة، يخاف نقض التوبة .. أي: بعد أن يتوب، يعود للذنوب مرة أخرى ..

يخاف من ضعف القوة عن الوفاء بحق الله .. أنه أخذ العهد والميثاق أنه سيكون مستقيماً، وبعد ذلك يخاف أنه ينقض عهده مع الله ..

يخاف تبدّل رقة القلب بالقسوة .. فطالما هو في حالة الإقبال على الله، فيخاف ويقول: هل سأبعد مرة ثانية؟؟؟ .. فيخاف أن يقسو قلبه .. يخاف من الأثر ..

يخاف من الميل عن الاستقامة .. يخاف من الانتكاس .. يخاف من الاستدراج بالنعم، يخاف ما لا يدرى حدوثه في بقية العمر .. يخاف من سوء الخاتمة وما سيحدث على الأمد البعيد، يقول: الله أعلم بما سيحدث، فهناك إخوة كانوا ما شاء الله وأخوات كن يعطين دروساً واليوم الله أعلم بحالهم .. فيخاف أن يكون مثلهم ..

يخاف من إطلاع الله على سريره في حال غفلته .. أخشى أن يكون أطلع الله على بعض ذنوبي، فقال: اذهب لا غفرت لك .. فيخاف أن يطلع الله عليه وهو غافلاً، فيسخط عليه ..

يخاف من خاتمة السوء، وخوف الخاتمة أغلب المخاوف على قلوب المتقين وأعلى من هذا المقام ..

آخر نوع: خوف السابقة .. هل يا ترى كُتِبَتْ عند الله شقي أم سعيد؟! .. فهذا ما يشغله .. فيحاول أنه يكون من أهل السعادة وليس من أهل الشقاوة .. فهذه الطبقة الأولى الذين يخافون من تلك الأمور لا لذاتها وإنما لغيرها.

الطبقة الثانية: تخاف من الشيء لذاته .. - أي: من الشيء نفسه - **مثل: هذا يخاف من سكرة الموت ..** عندما يُقال له: سكرة الموت ويستشعر احساس الروح وهي تؤخذ من جسده، كأنها ضرب بالسيوف وقيل أشد من ذلك .. أو يشعر كأنه ضُرب بمرزبة لا يطيقها جيل، ويشعر بهذا المعنى فيشعر بالرهبة ..

يستشعر معنى قول الرسول **صلى الله عليه وسلم: " .. لا إله إلا الله إن للموت سكرات "** [رواه البخاري] .. فيخاف ..

يقال له: أن القبر هو أول منازل الآخرة .. فإن صَلَحَ صَلَحَ ما بعده، وإن فسد فسد ما بعده .. فيخاف ..

يخاف أن يكون القبر حفرة من حفر النار وليس روضة من رياض الجنة ..

يخاف من سؤاله في قبره .. وهل يا ترى عندما ينتهره الملك، بَمَ سيرد عليه وماذا سيقول؟؟

وهل ياترى كان في قلبه: ربِّي الله وديني الإسلام ونبيَّ محمد **صلى الله عليه وسلم**؟ أم سيقول: ها ها سمعت الناس يقولون قولا فقلته!!

يخاف من الوقوف بين يدي الله .. كما قال تعالى: **{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}** [الكهف: 49]

يخاف من الصراط .. يخاف أن السقوط - أي سقطات ذنوبه - الذي كان يسقطه في الدنيا، سيسقطه على الصراط ..

وصراط الحياة .. عمره سيُجسد على صراط الآخرة .. فكل سقوط في الدنيا، سقوط في الآخرة .. وهل غُفِرَتْ له فسيمر بسلام؟ أم لا فيسقط على الصراط وقدمه تمس شفير النار؟؟

يخاف من أهوال النار وما أعدّه الله عزَّ وجلَّ من العذاب .. يخاف من أن يُحرم الجنة .. يخاف أن يُحجب عن الله ..

فهذه المعاني هي التي تُثقله .. هي التي تزعجه، وتجعله يتحرك إلى الله عزَّ وجلَّ ..

فالآن عرفنا مما تكون المخاوف ..

وقد فسر العلماء هذا الكلام ببعض الأمور .. بعضهم ذكر مثل ما ذكر المحاسبي، الذي قال في كتابه (مداواة النفوس):

"خلاصة المعارف: أن العبد بين تسع مخاوف::

(1) أن يخاف ويدعو الله ويتضرع إليه ألا يكله إلى حسناته ..

بمعنى أن الله عزَّ وجلَّ يُغرره بحسناته، فيقول: أنا لست سيء للدرجة .. فليس المطلوب جلد الذات، وإنما المطلوب ألا تكون مغروراً

(2) يخاف من كفران النعم، التي قد غلب عليه البطر بها فأشغله عن الشكر ..

فإن لم يكن معك هذا المال، لما انشغلت بها عن الله .. وهذا المتاع وخطئة أهل الدنيا، وهذه النعم التي تملكها هي التي تقطعك عن الله .. فإن لم يكن معك مال، لم تكن لتفكر: أين ستصرف هذا المال؟؟ أو أين ستتره أو ماذا ستترك؟؟ وفي أي شيء ستحقق ذاتك؟؟

فإله لم نشك هذه النعم، فقد تسلب وتحاب بها وتكون هي سر بلانك،

(3) خوف الاستدراج بالنعم ..

بمعنى أن يكون حالك مع الله غير جيد، وفي نفس الوقت أمور الدنيا مُيسرة ..

(4) خوف الله، أن يبدو له غداً من الله ما لم يكن يحتسب ..

قال تعالى {.. وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر: 47]

"إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" [متفق عليه]

قصة الأصبرم وقزمان - في غزوة أحد - الأصبرم دخل الغزوة، وهو لم يسجد لله سجدة .. دخل الغزوة، فسمع: يا خيل الله اركبي ..

أسلم وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم، وكانت الغزوة بعد الفجر في وقت الضحى .. فدخل يسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقابلته أحد الصحابة وقال له أنهم خارجين للجهاد .. فأكبر هذا وشرح صدره، بالرغم من أنه كان يدعى إلى الإسلام قبلها ولكن كان قلبه مغلقاً .. لكن سبحان الله في هذا اليوم شرح الله صدره ..

فدخل المعركة فجاهد فيها، حتى قُتِل واستشهد ولم يركع لله ركعة ..

وهذا مثال إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار - فقد كان على كفر- حتى أنه بينها وبينه إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

قزمان كان عكسه: فقد كان قزمان فتى شجاع جداً ويُشار إليه بالبنان .. فقد قتل الصحابة 37 شخصاً من الكفار في غزوة أحد، وقزمان قتل منهم سبعة أو تسعة رجال .. أي أنه قتل تقريباً رُبْع من قُتِل من جيش الكفار .. فقزمان في هذا اليوم عيروه النساء أن يقعد عن الجهاد، فخرج ووقف في الصف الأول في الغزوة .. فقاتل حتى قتل تسعاً أو سبعاً من المشركين، فأصيب بجراحات فأقبل إليه قتادة بن النعمان وقال: أبشِر يا أبا الغيداق .. هنيئاً لك الجنة، فقد أبليت بلاءً حسناً ..

قال: علام تبشرون؟! ما قاتلت إلا على أحساب قومي ثم مات.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " .. وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " [رواه البخاري]

قال تعالى { .. وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } [الزمر: 47]

فأنت تعتقد أنه بمجرد حدوث أي مشكلة لك، ستقول: ربِّ الله وتشهد بالشهادتين وستفعل وستفعل ..

الله أعلم هل هذه المعاني مترسخة في قلبك أم قد غطت عليها الدنيا؟؟

(5) الذنوب التي عملها واستيقن بها فيما بينه وبين الله ..

خائف من أن هذا الذنب يظهر ويُفصح به .. وأنه يكون لم يوفق للتوبة منه، فيخشى أن يظهر هذا الذنب في اللحظات الأخيرة .. فهذا يصيبه بالانتكاس، أو يُرديه فيستوجب من العذاب حتى يطهر القلب من أثره ..

(6) يخاف من تبعات الناس ..

هل لم تُخطيء في حق أي أحد؟ هل لم تغتب أحدهم أو لم تذكر أحدهم دون أن تتبّه؟؟ هل لم يحدث أي نوع من التجاوزات والمظالم مع الناس؟؟ هل لم تتعدى على حق أحد؟؟ .. هل هذه التبعات ستجد أنت في المقابل أشياء تزن الأمور أو ستوفّق للتخلّص منها؟؟ أم ستكون عند القنطرة مصيبة كبيرة فحتاج منك الآن إلى وقفة؟؟؟

(7) لا يدري ما سيحدث له في بقية عمره ..

يخاف من الخواتيم ..

(8) أن يخاف تعجيل العقوبة في الدنيا والكمال فيها قبل الفوت ..

هل إذا تمّ تخليصها منك في الدنيا هل ستتحمّل البلاء؟؟ أم من الممكن أن يصيبك البلاء بالتسخط؟؟
مثلاً: شخص سليم صحيح ثم ابتلاه الله بمرض مستعصي .. هل ستتحمّل هذا أم من الممكن أن تتسخط وتموت على التسخط؟؟

(9) يخاف من علم الله فيه وفي أي الدارين أثبت اسمه في أم الكتاب ..

وهذا المعنى مُشار إليه في حديث النبي **صلى الله عليه وسلم** - الذي أخرجه الترمذى والإمام أحمد في مسنده وابن أبي عاصم في السنّة وابن نعيم في الحلية وصححه الشيخ الألباني:

قال **صلى الله عليه وسلم**: "أتدرون ما هذان الكتابان؟"، فقلنا: لا، يا رسول الله إلا أن تخبرنا .. فقال للذي في يده اليمنى (وقد كان **صلى الله عليه وسلم** ممسكاً بكتابين) "هذا كتاب من ربّ العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً"، ثم قال للذي في شماله "هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً"، فقال أصحابه: فقيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟، فقال "سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يَحْتَمِلُ له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يَحْتَمِلُ له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل"، ثم قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بيديه فنبذهما ثم قال "فرّغ ربُّكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير" [رواه الترمذى وصححه الألباني، صحيح الجامع (88)]

أيه نده؟؟؟

فمن يُفكر في هذا الحديث، سيقول: انتهى الأمر أنا كُتبت من أهل كذا .. هل أنت عرفت ما في اللوح المحفوظ؟ .. هذا أمرٌ استأثر الله به نفسه.

لكن مشغولاً أنت في فريق أهل النعيم أم أنت في فريق أهل الجحيم؟؟

معنى الخوف ..

تعالوا لنرى الخوف من كلام العلماء؛ كي نتعلم من سيرهم معنى الخوف ..

الجنيد قال الخوف "توقع العقوبة على مجاري الأنفاس"

وقال الفضيل "من خاف الله، دله الخوف على كل خير"

وقال حاتم الأصم "زينة العبادة؛ الخوف من الله عز وجل"

ولو نظرنا في أحوال الخائفين، وسيد الخائفين محمد **صلى الله عليه وسلم** هو القائل: "شيتني هود وأخواتها" [رواه الطبراني وصححه الألباني، صحيح الجامع (3720)]

وهو القائل: "شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت" [رواه الترمذي وصححه الألباني]

يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء ..

النبي **صلى الله عليه وسلم** الذي كان يبكي حتى يُبل ثوبه ويُبل الثرى بدموعه، بأبي وأمي هو رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ..

من مر بإخوانه وهم حول قبر يدفنون رجلاً، فبدر من بين أيديهم ثم واجه القبر حتى بلّ الثرى من دموعه، وقال "يا إخواني، لمثل هذا فأعدوا" [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]

الخليل الذي بلغ هذه المتلة في الحبة، كان سيد من سادات الخائفين .. كان إذا ذكر النار، كما يقول كعب يقول: **أواه ..**

فقال الله {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} [هود: 75]

وهذا آدم وداوود، قال علقمة بن مشرد: "لو عُذِلَ بكاء أهل الأرض ببكاء آدم حين أُهبط إلى الأرض ما عدله"

فمتي كانت آخرمة بكت فيها من خشية الله؟! .. ومتي آخرمة بكى قلبك .. على الأقل .. من خشية الله؟؟؟

بكاء بحق؛ لأنك كنت تشعر بهذه المعاني والمخاوف، وخائف من تلك العواقب .. كانت متي؟؟؟

حتى الملائكة: فهذا جبريل .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مرت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل كاحلس البالي من خشية الله تعالى" [حسنه الألباني، صحيح الجامع (5864)]

ويقول صلى الله عليه وسلم لجبريل "ما لي لا أرى ميكائيل ضاحكاً قط؟"، قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار" [رواه أحمد وحسنه الألباني]

أبو عبيدة بن الجراح يقول: "وددت أن أكون كبشاً، فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقى" .. يا ليتنا مثله ..

عبد الله بن مسعود يقول: "لوددت أن الله غفر لي ذنباً من ذنوبي، وأني سُميت بعبد الله بن روثة"

وقال "والذي لا إله غيره، لوددت أني انقلبت روثة وأني دُعيت عبد الله بن روثة وأن الله غفر لي ذنباً واحداً"

وكان عبد الله بن عمرو يقول "لئن أدمع دموعاً من خشية الله، أحب إليّ من أن أتصدق بألف دينار"

وهذا الربيع بن خثيم يقول: كنت أقول لأي: يا أبتاه ألا تنام؟.. فيقول: يا بني، كيف ينাম من يخاف البيّات؟

وعن مالك بن دينار قال: قالت ابنة الربيع: يا أبتاه، إني أرى الناس ينامون وأنت لا تنام!، فقال: يا بُنيّة، إن أباك يخاف البيّات حتى لا أدري أكون آخر ليلة لي أم لا؟

وهذا الحسن البصري يقول: قال غزوَان الرقاشي: "لله عليّ ألا يراني ضاحكاً، حتى أعلم أي الدارين دارى".

فقال الحسن: "فعزم والله وحق ما عزم عليه، فما رُؤي ضاحكاً حتى لحق بالله عز وجل".

نحن نقول: هذا حال لبعض الناس وليس مُطالب به جميع الناس؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما أمرنا بذلك .. لكن هناك أناس غلب عليهم الحال لهذه الدرجة وهنا سؤال ..

هل الخوف أفضل أم الرجاء؟

في (منهاج القاصدين) قال ابن الجوزي: لا يُقاس الأمر على الإطلاق ..

وإنما في حال مَنْ أفضل؟ .. فإن كان في حال يانس فالرجاء أفضل ..

فإن كان شخصاً مكتئباً وعنده أمراض نفسية .. لا تذهب وتظل تقول له: الخوف .. الخوف هو أعظم سائق إلى الله، وهذا الشخص أصلاً لا يحتل .. فهذا الشخص يحتاج إلى خطاب الرجاء.

وبالعكس: شخص مغرور ولا يبالي ويتغرر ويقع في ذنوب ومعاصي، فلا تقول له: لا تحف أبواب التوبة مفتوحة، والأمر أمامك مفتوحاً حتى الغرغرة .. فأنت هكذا تجعله يزداد جرأة .. وللأسف هذا ما يفعله بعض الناس مع مثل هؤلاء، تحت مسمى نحن لا نريد أن نُنفّر الناس ونُشعرهم بالاختناق .. فيروّج لهم الرجاء، بالرغم من أنهم يحتاجون التخويف فيزدادوا في المعاصي، مثل: الممثلين والمغنيين .. فعندما يُقال لهم: لا تخافوا واجعلوا لأنفسكم دور في الحياة، وافعلوا وافعلوا .. فيتغرر بمعاصيه ويتمادى فيما هو فيه .. أليس هذا ما يحدث؟؟

لا يصح أن يكون الخطاب هكذا، وإذا عارضنا الأمر يُقال: أنتم تتكلمون في الخوف فقط وهذا تشدد!

فالأمر ينضبط كما ذكر ابن الجوزي ..

قال: "أن بعض السلف قالوا: لو نُودي أن يدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً، لخشيت أن أكون هذا الرجل .. ولو نُودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً، لرجوت أن أكون أنا هذا"

انظروا الرجاء والخوف، لابد أن يجمع بينهما معاً ..

قال: فلو وُزِنَ رجاء المؤمن وخوفه، لاعتدل ..

يعرف متى يخاف ومتى يرجو، وكيف يستخدمهما .. هنا هذا مقام رجاء، إذا جاءك شخص لديه مشاكل نفسية، فنحبيه في الله .. أما إذا جاء شخص متجريء على المعاصي ويبدو عليه ذلك، فهذا نخوفه بالله سبحانه وتعالى .. وتعرف أن تزجره عن هذا الأمر ..

إِذَا، فَالْمَسْأَلَةُ يَجِبُ أَنْ تَنْضِبَ بِهِ هَذَا وَبِهِ ذَاكَ،

انظروا إلى أحوال السلف؛ لكي تكون لنا فيهم الأسوة حتى عندما نمر بهذه الأحوال .. فليس المطلوب منك أن تكون مثلهم، ولكن المطلوب أن يُحرِّك هذا المعنى شيئاً في قلبك ..

الكلمة المشهورة لسفيان الثوري .. **كان سفيان الثوري، إذا أُخِذَ في ذكر الآخرة كان سفيان يبول الدم من شدة خوفه من الله.**

وقال عبد الرحمن بن مهدي: **كنت أرمق (أي: أرى) سفيان الثوري في الليلة بعد الليلة ينهض مرعوباً ينادي ... وهو بمفرده وعبد الرحمن ينظر إليه ليرى عبادة سفيان .. وكان سفيان ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات.**

كان إذا ذكر الموت لا يُنتفع به أياماً، فإذا سُئِلَ عن شيء، قال: لا أدري .. لا أدري .. ليس هذا الوقت لتحرير مسألة فقهية أو ما شابه، فشغله حالة.

مات سفيان الثوري - كما يقول عبد الرحمن بن مهدي - عندي، فلما اشتد به فجعل يبكي .. فقال رجل: **يا أبا عبد الله، أراك كثير الذنوب!** .. فرفع شيئاً من الأرض، فقال: **والله للذنوب أهون عندي من ذلك، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت.**

بمعنى: **أتحسب أي أخاف من الذنوب، أنا لا أخاف من الذنوب .. الذنوب لها ربُّ غفور، إني أخاف أن يُختم لي بالكفر وأنا لا أدري .. أن آخر لحظة يأتيني الشيطان يقول لي: كن يهودياً .. كن نصرانياً .. يُلْبَسْ علىَّ أمري، فأنتطق بكلمة الكفر بدلاً من كلمة الإيمان .. إني أخاف أن أسلب الإيمان.**

وهذا مسعر بن كدام، قال حفص بن عبد الرحمن: **أتيت مسعر بن كدام ليحدثني، فكأنه رجلٌ أقيم على شفير قبر ..** قال في مرة أخرى: **كأنه رجلٌ أتى به على شفير جهنم ليلقى به ..** بمعنى إنك ما أن تراه، تقول: هذا الرجل ابن موت .. هذا الرجل خرج من القبر .. هذا الرجل ليس مثلنا، ولا يعيش حياتنا من خوفه الله عزَّ وجلَّ.

وهذا مالك بن مغول، قال: **جلس سفيان الثوري ومالك فتذاكرا حتى رقا، فقال سفيان: وودت أني لا أقوم من مجلسي حتى أموت ..**

مثل ما تجلس في مجلس وتشعر أن قلبك قد رقّ، فتدعو الله أن يكون هذا هو .. تجلس عند الكعبة وتشعر بإنشراح صدرك ودمعتك على خدك، وتقول لو هنا يأتي الموت وينتهي الأمر .. فهذا معنى قول سفيان: **وودت أني لا أقوم من مجلسي حتى أموت**

أما مالك فقال: **لكني لا أحب ذلك، معاينة الرسل .. معاينة الرسل ..** ثم قام يبكي يخط الأرض برجليه .. أي يريد أن يعيش هذا المعنى وأثبت فيه الله عز وجل.

وهكذا كانت أحوالهم، هذا عطاء السليمي: كان يبكي حتى خشي على عينيه، فأتي بطبيب يداوي عينيه، قال: أداوي .. هل أنا سأعالج؟! .. فقال له الطبيب: يجب أن لا تبكي ثلاثة أيام حتى يتم شفاؤك .. قال: تداوي بشرط ألا تبكي ثلاثة أيام ..

فاستكره ذلك، وقال: **لا حاجة لنا فيك .. إيماناً بلا بكاء من خشية الله، لا ينفع ..**

هذا حاله، إذا لم يبك يوماً لا ينفع ...

فما هو حالنا نحن؟؟؟ منذ متى لم تبك نبكي؟؟؟ من رمضان الماضي؟؟؟

نسأل الله العفو والعافية .. نسأل الله العفو والعافية ..

وبكى هشام الدستوائي حتى فسدت عينيه، فكانت مفتوحة وهو لا يكاد يُبصر بها ..

وكان ابن المبارك إذا قرأ كتاب (الرقاق) تغير، كأنه ثورٌ منحور أو بقرةٌ منحورة .. مثل البقرة أول ما تُذبح وهي في السكرات، فكأنه هكذا من البكاء .. لا يجتريء أحد منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء إلا دفعه.

قال الفضيل يوماً وذكر عبد الله: **أما إني لأحبه؛ لأنه يخشى الله عز وجل ..** فكتب الله له في قلوب العارفين والصالحين حب هذا الرجل؛ لشدة خوفه من الله عز وجل.

وأحوال الصالحين في ذلك تطول ...

كيفية تصديق الخوف من الله عز وجل ..

الأهم الآن كيف تحققون ذلك عملياً؟؟

ما هي الوصفة العملية التي نحتاجها، لكي نصير من الله أخوفاً وبالتالي نكون بالله أعرف؟؟

(1) جلسة محاسبة ..

فالمسألة تدور على معرفة الله (العلم) ومعرفة عيوب النفس، وأنت تجاهر نفسك بذلك وتكاشفها وتحاسبها بذلك .. يقول الشيخ عبد العزيز السلمان في كتاب (مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار) .. يشرح كيفية عمل ورد محاسبة:

"فالعقل اللبيب من يوبّخ نفسه ويعاتبها ويوضح لها عيوبها كلها، ويُقر ويقرر عندها جهلها وحماتها؛ فإنما إذا أراد الله تُعذّر وترجع لو صدق في هذا الأمر.. "

فبداية الأمر: وقفة محاسبة .. وها هي التجربة العملية:

"فيقول لها: ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والفطنة وأنت من أجهل الناس؟! وأكبر برهان على ذلك إهمالك واستهانتك، أما تعرفين ما بين يديك من الأهوال والعظائم والمزعجات والمخاوف؟؟ .. أما تقرئين وتسمعين قول أصدق القائلين وأوفى الواعدين وأصدق القائلين وأقدر القادرين؟؟

{ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (*) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (*) يَوْمَ تُرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا } [المزمل:

[12,14]

أما تسمعين قول الجليل؟؟

{ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (*) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } [الفجر: 23,24]

أما تسمعين؟؟

{ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } [الفرقان: 13]

{ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (*) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ } [إبراهيم: 16,17]

[إبراهيم: 16,17]

أما تسمعين رب العالمين ينذرنا نذيراً شديداً فيقول:

{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} [الليل: 14]

أما تسمعين؟؟

{إِنَّهَا تُرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (*) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ} [المرسلات: 32,33]

وينحو هذه الآيات المخوِّفة، يقول لنفسه: مالك تفرحين؟ .. مالك تضحكين؟ .. مالك تشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم؟؟ وبين يديك إحدى منزلتين جنة أو نار؟؟ فكيف تهنئين بنوم أو يلذ لك مأكول أو مشروب وأنت لا تدرين في أي الفريقين تكونين ..

فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير،،

هذه هي الخاسبة وكل شخص له مفتاح، والماهر هو من يعرفه ..

يعنى هناك آية هي التي تمز قلبه، ومن المهارة والفقه أنه ينوِّع ما بين هذه الآيات .. هي الآية لها مفعول، ولكن أنت لا تعرف أن تتداوى بما التداوى المطلوب ..

فمثلاً: كنت ما أن تسمع: {ق .. ق} [ق:1] كان قلبك يُزلزل .. ما أن سمعت قديماً دروس مثل هادم اللذات وغيرها، كانت الآية أول مرة تسمعها بهذا الشكل فيرق لها قلبك ..

بعد ذلك يتم سماع الشريط ثلاث أو أربع مرات، لكن القلب يُطمس عليه بسبب الغفلة فلا تؤثر .. لذلك من يفهم يعرف كيف ينوِّع بين هذه الآيات ..

لذا فالواجب العملي لهذه الآيات:: الترويض بآيات الخوف والإزعاج.

لذا نحتاج على مدى الأسبوعين القادمين كشكول ونسميه (آيات خوفتني) .. وكل منا يكتب آية ويكتب عليها شعوره: أي آية تستحضر قلبك وتمزه .. فيمكن أحد منا لا يعرف المعنى المزعج في الآية - أي المخوف والزاجر - فيمكن أن تكون دليل لغيرك ..

فليس شرطاً المعاني المشتهرة، فهناك آية مثل {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: 8] قد تحرك قلبه .. وهناك آخر، يقول: أنت بهذه الطريقة ستيأسني فلا يجب أن يسمع هذا الكلام .. وهناك آخر دقيق جداً شخصيته هكذا، فهذه المعاني تخوفه ..

وهناك آخر تجدي معه معاني البعاد، فهو شخص متقرب لله عز وجل ومتجنب فعندما يُقال له: {.. أَلَا بُعْدًا ..}.. فهذه التي تُشبهه .. عندما يُقال له: اخرج أنت لا تصلح هنا .. إحساس البعاد يكسره، فهذا يهزه جداً قوله تعالى {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ} [المطففين: 15] .. هذه هي التي تشبهه وتشبهه أكثر من النار ..

وهناك آخر لا يأتي إلا بهذه السياط، فعن جد يجب أن نفعل كلنا هذا ونأتي بكشكول ونكتب فيه آيات التخويف والمرة القادمة إن شاء الله يكون معنا وبه ما كتبناه .. ولا يشترط أن تكون جلسة علم .. يمكن أن تكون جلسة مداورة لمثل هذه المعاني، كما كان يفعل السلف فكانوا يجلسون جلسة - بنا نؤمن ساعة بحق - وكل منا يذكرنا بآية ..

وكان عمر بن عبد العزيز يعقد مجلس وكل من في الجلسة يأتي بمعنى في الآية، فهكذا تأتي الحشية وتخرج الدنيا من القلب والمرء منها يرى هذه هي نهاية الأمر؟؟ وأنا أقطع نفسي من أجل الدنيا وهومها ومشاكلها والأولاد والزوجة والعمل وووو ..

فنجد بذلك المعاني التي ذكرناها في أول الدرس، فتقطع عنا الشهوات وتقطع عنا الإحساس بمثل هذه الأمور .. ذلك المطلوب في التحقيق العملي في آيات خوفني ..

(2) قائمة ذنوب وعيوب ..

فقد ذكرناها كثيراً، ولكن كل مرة أقول لك جددتها؛ لأن كل مرة تظهر عيوب ممكن ألا نكون لا نلقي لها بالاً ..

فمثلاً: كثير من الشباب يأتي ويقول أنا ملتزم منذ ثلاث سنوات، والحمد لله أول مرة يراودني ذنب من الذنوب السالفة التي كنت أفعّلها قبل الالتزام، أنا كنت أعتقد أن مثل هذا انتهى وتخلصت منه منذ زمن ..

وقد كلمني أحدهم قائلاً: بعد ثلاث سنوات جائتني الخواطر والصور التي كنت أراها، هل لم يُطهر القلب بعد؟؟!!

نعم، وأنت لا تدري .. وقد تغرر الأخ باللحية، وتغتر الأخت بالنقاب وتزوجت أخ أيضاً مثل ذلك، وأمام الناس يبدون ملتزمين وفي واقع الحال .. الله يعلم بالحال .. فتخاف ..

فبالتالي قائمة الذنوب يجب أن نجدها؛ لأن عندما تحدث مثلاً مشكلة بينك وبين شخص ما اكتشفت أنك تحب الدنيا وأنت لا

تدرى .. فالدنيا كانت لا تشغلك وكنت كثيرا تتصدق وغيره وتعتقد أن هذه الدنيا تحت الحذاء، ولكن اكتشفت أن الدنيا ما زالت مُترسخة في قلبك بسبب الحياة التي تعيشها والنشأة التي نشأتها .. عيب خفي ..

فعندما تم إلقاء (سلسلة العجب) وتكلمنا عن مظاهر العجب، كان هناك مجموعة شباب لم يكونوا يتصورون بحال .. آخر شيء مسألة العجب وأنه ليس عنده عجب بأي حال من الأحوال، لكن عندما قيلت له المظاهر أكد أنه معجب بمعنى الكلمة بنفسه أو بماله أو بأي معنى من هذه المعاني .. فقد كنت قد قمت بعمل مدراسة في خطبة الجمعة، في قصة صاحب الجنتين .. فهي بالضبط تُجسد هذا وترصد كل هذه المعاني ..

فالعيوب عنده في ثلاثة أشياء:

1) عندما قال صاحب الجنتين: { .. أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } [الكهف: 34] .. هذا عجب ولّد كبر .. أعجب بماله وأولاده.

2) {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا} [الكهف: 35] .. هذا غرور ..

فتغرر لدرجة أن يقول في داخل نفسه: لا يمكن يا أخي، ليس معقولاً أني أنا من وُلدت في هذه البيئة الراقية ادخل النار؟؟ .. ونار وعذاب وعصارة أهل النار وقيح وو ! .. هل يمكن وأنت تأنف في حياتك من مثل هذا، هل ستعرض لهذا بعد ممالك تجلس في عصارة أهل النار؟؟ .. فتعتقد أننا بما أننا أمضينا حياتنا في بيئة راقية فإنه بالمثل سيكون في الآخرة ..

3) فدفعه لأن يقول هكذا {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا} [الكهف: 36] .. أي: نظن أنه طالما عشنا في أفضل حال، سنموت على ذلك .. وظن أنه لا يمكن أن يفنى بأي حال من الأحوال ..

فصاحب الجنتين عنده ثلاثة عيوب::

(1) كبر .. (2) عجب، أي غرور .. (3) شك .. {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ..}

فكانت هذه البداية .. فقصته أنهم ورثوا ثلاثة آلاف دينار هو وأخوه، فأحدهم - الصالح - تصدّق بيهم .. والثاني تزوّج بألف، والألف الثانية أنشأ بها مزرعة حيوانات، والثالثة استثمرها في التجارة .. فزاد ماله حتى طغى ولم ينتبه ..

مثل قارون الذي كان ابن عم موسى عليه السلام، كما قال الله {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مَرْيَمَ فَبَعِيَ عَلَيْهِمْ} [القصص: 76]

هل تعرف بدايته؟؟؟ .. بدايته أنه كان رجلاً متعبداً، فدخل عليه الشيطان .. فتعبّد معه حتى أعجب قارون عبادته، فقال: اجتمع معي في الصومعة .. فقال له: لم لا تخرج يوم؟؟ فلا يصح أن نجلس هكذا وتنفق الناس علينا! .. وهل كلامه صحيح؟، نعم صحيح .. فقط اعمل يوماً، وستة أيام تنفق على أنفسنا من اليوم الذي عملناه ..

هل هذا خطأ؟؟؟ بالطبع لا، فهذا هو الشرع ..

بعد ذلك قال له: ما رأيك نخرج للعمل يوم آخر، فالذي نحصل عليه نتصدق به .. نصف المال نفقه على أنفسنا، ونصف المال نتصدق به .. وهذا ليس خطأ، بالعكس هو يحضه على طاعات أكثر .. وقارون يقول له: هكذا صحيح .. وفي اليوم الثالث، قال له: نحن لا نريد طوال حياتنا نشقى ونتعب، نريد أن نتفرغ للعبادة .. فقال له قارون: ماذا سنفعل؟؟ .. قال له: ادخر قليلاً ..

فلما فتح عليه في باب الادخار تركه،،

فدخل حب الدنيا في قلب قارون، وصار أغنى أغنياء العالم .. فتركه على هذا الحال ..

أأيتهم كيف دخلت إليه الدنيا؟؟؟!!

فهذه هي قائمة العيوب التي لا بد أن ننتبه لها،

فإن الشيطان يفتح لابه آدم سبعينه باباً من أبواب الخير؛ ليهلكه في باب من الشر ..

عملياً تحتاج أن تعيش جو الخوف .. ما أكثر شيء يخوفك مما قلناه؟؟؟ .. مثلاً البعد .. فداوي قلبك من هذه الجهة، من الأمر الذي يستحضر قلبك ويهزه ويؤثر فيه ..

فمثلاً إذا خفت من قوله تعالى { .. مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ .. } [النساء: 123] .. فهنا يجب أن تقرأ عن عقوبات المعاصي التي ترتكبها بتوسع وترى أمثلتها وترى تطبيقاتها في الواقع أمامك وتسجلها ..

ليس الأمر أنني سأكتفي بقراءة (الداء والدواء) و(تحذير الداني والقاصي) .. لن أكتفي بالمعاني المجردة، بل سأقرأ أشياء واقعية .. انظر إلى فلان وكيف تحققت فيه الآية { .. مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ .. } [النساء: 123] وأنا هكذا إذا فعلت ذلك سأكون مثله.

آخر يخاف منه الطرد والإبعاد .. فاقراً الأحاديث والآيات التي تتكلم عن اللعن وطبقها على نفسك وحالك، وافعل التطبيق الواقعي هذا .. متى بُعدت؟ متى طُردت؟؟ .. أنت الآن مطروداً ومحروماً، أم إنك لا تدري أم أين أنت؟؟ .. وتستوقفك هذه الآيات ..

احساس كفران النعمة .. نفعل الأمرين، كما يقول علماء التربية :

1) أن نحضر ورقة ونقسمها نصفين ونكتب مجموعة من نعم ربنا التي نشعر بها جيداً، اكتب مثلاً اثنين أو ثلاثة: مثلاً **نعمة السر** إذا استشعرتها واستشعرت كل مظاهرها في حياتك، ستجد نفسك يكفيك هذا جداً لكي تريد حب الله في قلبك ..

2) ثم اكتب أقبح أشياء ارتكبتها في حياتك، وانظر على الورقة التي قسمتها نصفين واحكم أنت .. كما قال تعالى { .. كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [الإسراء: 14]

فقط احكم هذه أمام تلك، فهذا المعنى يوكد فوراً الحال الذي نريده .. هذه أمام تلك .. هذا مطلوب عملي فلنفعلها، ونكتب هذا لكي تتحرك القلوب ونشعر أن هناك شيء سيتغير.

بالطبع من مظاهر الخوف الأخرى، مثل: زيارة مستشفى في الحالات الحرجة، أو تذهب إلى قبر وترى الوضع ..

هل تعرفون قصة الأخ عُمّالذي توفّي مه أسبوعيه؟؟ .. الإخوة يذكروا على مدى الأسبوعين الماضيين، أن صديقه يقول:

إنه في ليلة وفاته ذهب إلى قبر ودخل قبر مفتوح، وأسند ظهره بأسفل القبر، وأخذ يقول:

يا ربِّ لا تعذبني .. يا ربِّ أنا له أنحمل عذاب القبر .. يا ربِّ لا تعذبني في القبر ..

وهو يبكي وسبحان الله توفّي بعدها بساعات، انظروا هذه الأمور التي تحدث حولنا .. فقد رأيت هذا الأخ مرتين أو ثلاثة، وسبحان الله انشرح له صدري من أول جلسة ولم يحدث بيني وبينه كلام كثير ..

يقولون أنه كان يكون معه دائماً ورقة صغيرة، وعند جلوسه مع الإخوة وهم يتضحكون وهكذا يقوم هو ويكتب شيء في الورقة ثم يضعها في جيبه .. حتى لاحظ أحدهم أنه يفعل ذلك كثيراً، فسأله قال له: ما هذه الورقة؟؟ .. قال له: **ورقة الكذب**، قال له: ما هي ورقة الكذب؟ .. فنظر في الورقة فوجد مكتوباً بها: السبت 18 كذبة .. الأحد 10 كذبات .. الاثنين ... وهكذا .. الأمر أنه كان يحاسب نفسه على مثلاً: عندما يقول لصاحبه أنا وصلت مثلاً أسفل المنزل، وهو مازال بأول الطريق .. فيحسبها كذبة .. هذه هي مظاهر الكذب التي كان يراها، وعندما ينهي هذا العيب يأخذ عيباً آخر .. مثلاً: عيب العُجب أو عيب كذا ووو ..

هل سمعتم عن أخ بهذه المراقبة؟؟؟؟

لذا نحسب - إن شاء الله - أن يكون بُلغ عند الله المتزلة وحسنت خاتمته .. فقد آخر ساعتين في حياته بالشكل الجميل هذا، وبالمعاني القوية تلك .. نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً ..

ولم لا تلوو مثله؟؟؟ .. فقد أقام علينا الحجة .. لم لا نفعل ذلك؟ ..

لم لا نخاف على أنفسنا؟؟ .. لما نفعل؟؟؟؟

زيارة قبر أو مستشفى .. وتجلس بين فقراء .. وتستنشر نعمة الله عليك ..

هذه الأشياء التي يجب أن تكون موجودة؛ لأنها ستستهض في قلبك معاني الإيمان مرة أخرى .. وستخاف أن تُسلب النعم التي منَّ الله عليك بها وأخطرها أن تُسلب الإيمان .. مثل هذا وذاك ..

احضر كتاب **(أخبار المنتكسين)** لصالح العتيبي، وكل قصة فيهم عند قرائتها ادع وقل:

يا ربَّ .. يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ بَيَّنْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ..

يا ربَّ إذا أدت بقومٍ فتنة، فاقبضني إليك خير مفتون ..

أخاف أن يحدث هذا ..

إذا اجتمعت هذه المعاني في القلب أحيته؛ فلذلك ..

مَنْ عَرَفَهُ خَافَهُ... وَمَنْ عَرَفَ هَذِهِ الْمَعَانِي أَصَابَ اللَّهُ قَلْبَهُ

نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنا مِنْ أَفْتَخِ عِبَادِهِ لَهُ .. وَمِنْ أَتَوَّفَ عِبَادِهِ لَهُ ..
وَأَنْ يَبْلُغَنَا وَإِيَّاهُمْ مِمَّا يَرْضِيهِ آمَنًا، وَأَنْ يَجْمَعَنَا وَإِيَّاهُمْ فِي الْفَرْدَوْسِ الْأَعْلَى فِي رَفِيقَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ مَسْجِدَنَا بِالْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاهُ عَلَيْهِ

{ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [غافر: 44]

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِصَهْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

وَصَلَّى اللَّهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فضيلة الشيخ / هاني طه